بقلم: داني جوتوين

العوامل والأسباب التي وقفت خلف صدور وعد بلفور: حاييم وايزمان، الحركة الصهيونية والإمبريالية البريطانية

ننقل هنا جزءا من مقالٍ للمؤرخ الإسرائيلي داني جوتوين، المختص بالشؤون الاجتماعية – الاقتصادية والخبير في الشؤون الصهيونية، وهو يعمل استاذا ومحاضرا في جامعتي حيفا وتل ابيب. نشر هذا المقال في العدد الأخير من مجلة " يريد همزراح – مَعْرِضُ الشّرق"، وهي مجلة فصلية تعنى بـ "دراسة الصهيونية ودولة إسرائيل : تاريخ، ثقافة ومجتمع ". والنص المنقول هنا هو عبارة عن مقدمة لمقال جوتوين المطول الذي نشر في العدد الأخير للمجلة الدورية المذكورة (رقم ٢٤،خريف العام ٢٠١٦ ، والذي صدر كـ"عدد خاص" تحت عنوان " إسرائيل– عهد الإنتداب: بريطانيون، يهود وعرب"، وكُرس لمناسبة مرور ١٠٠ عام على صدور وعد بلفور) .

يتناول جوتوين في مقاله بالنقاش والتحليل المسهبين ما قال أنه "بعض الأسئلة المهمة التي بقيت حتى الآن في محور جدل مستمر بين سائر الباحثين" الذين تناولوا السياق التاريخي والسياسي لصدور" تصريح/ وعد بلفور" المؤيد لإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين / أرض إسرائيل".

ويركز كاتب المقال بصورة خاصة على سؤالين رئيسيين، الأول: "العوامل والأسباب التي دفعت حكومة بريطانيا لإصدار تصريح / وعد بلفور"؟ والسؤال الثاني : " ما هو الدور الذي لعبه حاييم وايزمان – أول رئيس لدولة إسرائيل – في الخطوات والمساعي التي أدت إلى صدور هذا القرار"؟! يناقش جوتوين مختلف وجهات النظر والاستنتاجات التي توصل اليها، في هذا الصدد، العديد من الباحثين، الذين إنقسموا حسب رأيه إلى مدرستين مركزيتين، عرّفهما بـ" مدرسة الربط" و" مدرسة التمركز". وينطلق جوتوين في مقاله التحليلي مما وصفه بـ" نقطة اللقاء بين الإخفاقات التي وقعت فيها المدرسة الأولى وبين تلك التي وقعت فيها الثانية"، مستخدما

بقي هناك سؤالان، طوال الأعوام الخمسين الماضية، يقفان في محور جدل مستمر بين الباحثين في هذا الصدد، الأول: ما هي الأسباب التي دفعت حكومة بريطانيا لإصدار هذا "الوعد"؟ والسؤال الثاني: ما هو الدور الذي لعبه حاييم وايزمان في الخطوات والمساعي التي أفضت إلى اتخاذ هذا القرار؟

في هذا السياق " مساعي وجهود وايزمان" و"الدور المزعوم" الذي لعبه في صدور وعد بلفور كـ" مفتاح لتفسير بديل للعوامل والأسباب التي دفعت حكومة بريطانيا إلى إصدار وعد بلفور".

ويخلص جوتوين بناء على ذلك في خاتمة تحليله إلى استنتاج مؤداه أن " إصدار وعد بلفور وصيغته كانا نتاج صراع دار داخل نظام الحكم البريطاني إبان الحرب العالمية الأولى بين كتلتين متخاصمتين " الكتلة الراديكالية والكتلة الإصلاحية"، وليس نتيجة دور لعبه قادة الحركة الصهيونية في حينه، وخاصة حاييم وايزمان، حسب ما شاع فيما مضى، وربما حتى الآن، لاسيما لدى باحثي الأكاديميا وأوساط المؤسسة الرسمية الإسرائيلية.

هستريوغرافيا وعد بلفور: التفسير الناقص !

قرر المجلس الوزاري الحربي البريطاني المصغر(الكابينيت)، في ٣١ تشرين الأول ١٩١٧ ، إصدار تصريح يؤيد إقامة "وطن قومي للشعب اليهودي في أرض إسرائيل " ويتعهد ب"تسهيل تحقيق هذا الهدف"، وهو تصريح سيدخل التاريخ لاحقا تحت اسم "وعد بلفور".

بقي هناك سؤالان، طوال الأعوام الخمسين الماضية، يقفان في محور جدل مستمر بين الباحثين في هذا الصدد، الأول: ما هي الأسباب التي دفعت حكومة بريطانيا لإصدار هذا "الوعد"؟ والسؤال الثاني: ما هو الدور الذي لعبه حاييم وايزمان في الخطوات والمساعي التي أفضت إلى اتخاذ هذا القرار؟

تنقسم التفسيرات السائدة، وفقا لمنطق الحجج التي تستند إليها، إلى مدرستين مركزيتين، ويمكن تعريفهما على النحو الآتي:" مدرسة الربط "، و"مدرسة التمركز".

يعتبر ليونارد شتاين مؤسس أو صاحب مدرسة الربط، والذي دشن كتابه "وعد بلفور"، عهد البحث التاريخي الموثّق لوعد بلفور.[١]

وادعى شتاين، المحسوب على المنتدى الداخلي للموالين لوايزمان،[٢] أن إصدار التصريح/ الوعد في خريف العام ١٩١٧ كان نتاج لقاء بين اعتبارات مختلفة وجهت السياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى. ومن بين الاعتبارات التي أوردها شتاين: ضمان السيطرة البريطانية في أرض إسرائيل/ فلسطين، وتجنيد يهود روسيا في التصدي لإمكانية إبرام سلام منفرد مع المانيا، واستمالة الرأي العام اليهودي في الولايات المتحدة الأميركية ضد سياسة الرئيس وودرو ويلسون المؤيدة لتركيا.

وبحسب رأي شتاين فإن ثمة عاملا آخر، أثر على إدارة الحكم البريطاني، وهو تغلب الصهيونيين على خصومهم في الصراع الذي نشب في صفوف الجالية اليهودية – الإنجليزية حول مسألة " الوطن القومي في أرض إسرائيل". أكّد شتاين ايضا على الدور الخاص الذي لعبه وايزمان في إقناع البريطانيين بإصدار التصريح/ الوعد، وهو دور استند إلى صلة المعرفة التي جمعت بينه وبين رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ووزير الخارجية آرثور بلفور، والتي أخذت تتوطد في ضوء مساهمة وايزمان العلمية في إنتاج الأسيتون واستخدامه لأغراض المجهود الحربي البريطاني. وقد ركز شتاين على ما تحول إلى سمة بارزة لمدرسة الربط، وهي وصف مجمل الخطوات والجهود التي أدت إلى إصدار وعد بلفور– غير أنه لم يعط تفسيرات مفصلة بشأنها.وقد أثار هذا التوجه التفسيري انتقادات من جانب عدد من الباحثين الذين أكدوا مرارا على قصور هذا التوجه. في هذا السياق، أخذ دافيد فيتال على شتاين امتناعه التام عن "طرح رأيه في أي موضوع"؛[٣] وأشار آفي شلايم من جهته إلى أن شتاين "لا يتوصل إلى أي استنتاجات واضحة"، فيما يتعلق بالأسباب والاعتبارات القابعة وراء إصدار التصريح /الوعد؛[٤] فيما أكد كرستوفر سايكس من جهته بأنه:

لا أحد يعلم لماذا صدر وعد بلفور. لقد كرس السيد ليونارد شتاين سنوات طوال لبحث وتقصي مصادر وأسباب هذا الوعد،

لا أحد يعلم لماذا صدر وعد بلفور. لقد كرس السيد ليونارد شتاين سنوات طوال لبحث وتقصي مصادر وأسباب هذا الوعد، ومع ذلك لا يمكن للقارئ، بعد الانتهاء من قراءة مُؤَلَّفَهُ المطول، والذي يعتبر "تحفة فنية" في حد ذاته، أن يتوصل بصورة مؤكدة ودقيقة لمعرفة ما الذي جعل حكومة لويد جورج الائتلافية تفوض آرثور بلفور بأن يكتب إلى اللورد روتشيلد ما كتب.

ومع ذلك لا يمكن للقارئ، بعد الانتهاء من قراءة مُؤَلَّفَهُ المطول، والذي يعتبر "تحفة فنية" في حد ذاته، أن يتوصل بصورة مؤكدة ودقيقة لمعرفة ما الذي جعل حكومة لويد جورج الائتلافية تفوض آرثور بلفور بأن يكتب إلى اللورد روتشيلد ما كتب. ثمة أسباب وتفسيرات كثيرة أُعطيت لذلك، مما يجعل من الصعب الوثوق بسبب أو تفسير بعينه من مجمل هذه الأسباب والتفسيرات.[٥]

جاءت إحدى المحاولات للوقوف على "الدوافع الدقيقة" لإصدار وعد بلفور، والتي جرت في نطاق توجيهات مدرسة الربط، من جانب جون كمحي في كتابه "اللارومنسيين: القوى العظمى ووعد بلفور"، والذي يعطي وزنا كبيرا لرأي / تفسير يسرائيل زيف، المحسوب أيضا على المنتدى الداخلي للمقربين من وايزمان. غير أن كمحي أيضا يكرر جملة الدوافع التي أوردها شتاين دون أن يجزم في شأن أي منها. ويقترح كمحي كتفسير ممكن بديل لـ"سبب واضح"، لصدور وعد بلفور، الوضع العسكري الصعب والمعقد الذي واجهه البريطانيون في العام ١٩١٧ في جبهات القتال المختلفة. ففي ضوء هذا الوضع، اقترح وايزمان على البريطانيين ، كما قال كمحي، العمل على دفع المصالح البريطانية في الولايات المتحدة وروسيا. ويقول كمحي أن البريطانيين تمسكوا، في غياب مخرج آخر، باقتراح وايزمان، الذي تحول حسب وجهة نظرهم من "قصبة قش" إلى "انبوب أكسجين"، أدى إلى صدور وعد بلفور.[٦]

ساهمت هذه الانتقادات التي وجهت لمدرسة الربط، ولا سيّما فيما يتعلّق بالدور المركزي الذي نسبته للصهيونيين بصورة عامة، ولوايزمان بصورة خاصة، في صدور وعد بلفور، في نشوء وتطور المدرسة الثانية "مدرسة التمركز". ففي حين ربطت "مدرسة الربط" بين السياسة البريطانية والجهود والنشاطات الصهيونية، فصلت مدرسة "التمركز" بين تلك السياسة وبين الجهود الصهيونية، وركزت فقط على الاعتبارات البريطانية، وأقصت إلى الهامش تأثير الصهيونيين، ولا سيّما دور ومساهمة وايزمان في صدور الوعد .

غير أنه نشب خلاف بين الباحثين الذين تبنوا مدرسة التمركز، حول مسألة ماهية تلك الاعتبارات التي أدت إلى صدور الوعد، ولذلك لم تورد مدرسة التمركز أيضا "سببا واضحا محددا" في هذا الشأن.

وردت تعليمات مدرسة التمركز للمرة الأولى في مقالة كتبها مائير فارتا تحت عنوان "عن وعد بلفور وصانعيه"، وبحسب قوله فقد نُسِجَت حول وعد بلفور روايات وأساطير، ولكن وعلى الرغم من ذلك فإن "البحث التاريخي لم يبذل جهدا كافيا في سبيل النفاذ إلى العمق وكشف نواة هذا الموضوع برمته"، وعليه:

> سوف أُحاول هنا، في مناسبة مرور مئة عام على وعد بلفور(...) أن أثبت أن الإنجليز أرادوا الاحتفاظ بأرض إسرائيل، بل وكانت لديهم رغبة شديدة بذلك، انطلاقا من مصالحهم، وليس الصهيونيين هم الذين اجتذبوهم اليها؛ وأن الصهيونيين لم يكونوا أول من طرح أمام الحكومة الإنجليزية، إبان الحرب العالمية الأولى، موضوع أرض إسرائيل ومسألة مستقبل الشعب اليهودي في أرض إسرائيل، وأن الصهيونيين ليسوا هم الذين بادروا إلى المفاوضات مع الحكومة (البريطانية) وإنما الحكومة هي التي بادرت إلى إجراء مفاوضات معهم.[٧]

بناءً على ذلك، أكد فارتا أنه "لو لم يكن الصهيونيون موجودين في تلك السنوات لأوجدهم الإنجليز؛ ففي تحليل ولادة وعد بلفور ليس المهم هو ما الذي فعله الصهيونيون، كما لم تكن هناك حاجة إلى وايزمان وسوكولوف بالذات، أو لأي زعيم صهيوني آخر، ولذلك لا يمكن القول أن حاييم وايزمان هو الذي جاء بالوعد لشعب إسرائيل."[٨]

من جهته، واصل دافيد فيتال، الذي أشار إلى أن مقالة فارتا "الملهمة" هي أول من بدد غيوم الأسطورة والغموض التي لفت وعد بلفور، [واصل] تعقّب تاريخ وعد بلفور، مستندا في ذلك على تعليمات مدرسة التمركز. ففي كتابه " الثورة الصهيونية:مرحلة الحسم"، تساءل فيتال بشأن ما

بناءً على ذلك، أكد فارتا أنه "لو لم يكن الصهيونيون موجودين في تلك السنوات لأوجدهم الإنجليز؛ ففي تحليل ولادة وعد بلفور ليس المهم هو ما الذي فعله الصهيونيون، كما لم تكن هناك حاجة إلى وايزمان وسوكولوف بالذات، أو لأي زعيم صهيوني آخر، ولذلك لا يمكن القول أن حاييم وايزمان هو الذي جاء بالوعد لشعب إسرائيل."

إذا كان يمكن تفسير ولادة تصريح وعد بلفور، "بمثل هذه السهولة، وهي في الكثير من الأحيان {...} تفسيرات مختلفة، بل ومتناقضة". وقد ركز التفسير البديل الذي اقترحه فيتال على الإدعاء بأن وعد بلفور عكس " الأهمية المفرطة " التي أولتها بريطانيا للتواجد العسكري الإمبريالي في الشرق الأوسط واستغلال السياسة البريطانية لـ"الشعوب الصغيرة"، ومن ضمنها اليهود، بغية تحقيق هذا الهدف. وبحسب رأيه، فإن العامل "الحاسم" في القرار البريطاني بإصدار التصريح/ الوعد تمثل في " حصول تطورين لاحقين هما: طرح مسألة مستقبل أرض إسرائيل على الأجندة السياسية الدولية، والمنظور الجديد الذي تبنّاه حلف القوى العظمى، وإن كان لفترة قصيرة من الوقت، في رؤية اليهود". بناءً على ذلك، أضاف فيتال قائلا: بحكم طبيعة الأمور السياسية والعسكرية خلال الحرب العالمية الأولى فقد كانت المساهمة المباشرة لليهود، ومن ضمنهم وايزمان، في صياغة السياسة البريطانية في الشرق الأوسط "أقرب إلى الصفر". وهو يعتقد أن دور وايزمان في صدور وعد بلفور لم يكن "ثمرة مبادرة من جانبه، وإنما إستغلالا للفرصة التي أتاحها الساسة البريطانيون. ومن أجل الوقوف على ماهية هذا الدور ينبغي حل "عقدة الوقائع، الإفتراءات والتكهنات الغامضة التي انضفرت فيما بعد في الشهرة الجماهيرية "لوايزمان"[٩]

وعلى خطى فيتال، أشار كل من افرايم كارش واينارى كارش في بحثهما الذي نشراه تحت عنوان "رمال الإمبراطورية: الصراع على السيطرة في الشرق الأوسط،١٧٨٧–١٩٢٣ "، إلى أن الصراع ضد المكتسبات التي حققتها فرنسا في معاهدة سايكس – بيكو كان سببًا مركزيًا لإصدار وعد بلفور. ويعتقد هذان الباحثان أن البريطانيين طرحوا في إطار هذا الصراع "الموضوع اليهودي" في أرض إسرائيل و"المعارضة اليهودية" المتوقعة للمعاهدة، وضَمَّنوا ذلك إدعاءات وحجج بشأن "النفوذ الدولي لليهود"، والتعاطف البروتستانتي مع اليهود وتطلعاتهم القومية. وهكذا فقد خلقت "الرغبة البريطانية في إلغاء معاهدة سايكس – بيكو فرصة خاصة" سارع وايزمان إلى "إستغلالها".[١٠]

إلى ذلك، قدمت أبحاث يشعياهو فريدمان، الذي وضع النقاش حول وعد بلفور في السياق الرحب للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط عشية الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها، مساهمة مهمة في تعزيز مدرسة التمركز. فقد أشار فريدمان إلى مسألة دفع المصالح البريطانية، باعتبارها الغاية التي تقف خلف إصدار وعد بلفور. غير أن فريدمان، خلافا لفارتا وفيتال، نقل التركيز من الاعتبارات العسكرية والسياسية الناتجة عن أحكام وضرورات فترة الحرب، إلى إستراتيجية التوسع الإمبريالي التي اتبعتها بريطانيا بعد الحرب. ونسب فريدمان أهمية ثانوية فقط لجهود ومساعي الصهيونيين، وأكد في كتابه "مسألة أرض إسرائيل ١٩١٤–١٩١٨" أن دوافع بريطانيا لإصدار التصريح – الوعد كانت "كثيرة ومختلفة".

غير أن المهم هو أن هذه الدوافع أدت إلى إحباط إمكانية قيام تركيا وألمانيا ببسط حمايتهما على "أرض إسرائيل اليهودية" المزمع إقامتها بعد إنتهاء الحرب. وفي العام ١٩١٧ لم يكن انتصار دول الحلف مضمونا على الإطلاق، وكان رأي الأكثرية السائد هو أن الحرب ستنتهي في أحسن الأحوال بالتوصل إلى اتفاق سلام. وقد كان من شأن فحوى الحجة الصهيونية في مؤتمر السلام المزمع عقده – وفقا لرأي الكثيرين – أن ترجِّح الكفة في صالح هذا الطرف أو ذاك، وذلك في ضوء التصريحات المتكررة المؤيدة لمبدأ حق تقرير المصير، خلافا لعمليات الضم والإلحاق، من جانب الأطراف المتحاربة. ولعله تكمن في ذلك بالذات قوة الصهيونيين، غير أنهم لم يصروا على المبدأ المذكور بأكمله.[١١]

وسّع مقال دافيد يسرائيلي الذي يحمل العنوان "الصراع حول ضلوع الصهيونيين في الحرب العالمية الأولى، ١٩١٧–١٩١٨"، تفسير مدرسة التمركز ليشمل حلبة أُخرى هي الصراع حول "الكتائب العبرية" في الجيش البريطاني، إذ رأى يسرائيلي في إقامة الكتائب العبرية وصدور وعد بلفور مظهرين مكملين لسياسة واحدة. وبحسب قوله فإن الحكم البريطاني لم يبدأ

إلى ذلك، قدمت أبحاث يشعياهو فريدمان، الذي وضع النقاش حول وعد بلفور في السياق الرحب للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط عشية الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها، مساهمة مهمة في تعزيز مدرسة التمركز. فقد أشار فريدمان إلى مسألة دفع المصالح البريطانية، باعتبارها الغاية التي تقف خلف إصدار وعد بلفور.

بالاهتمام بإمكانية استخدام الصهيونيين في تنفيذ هذه السياسة سوى في أعقاب التحول الذي طرأ على السياسة البريطانية، في ربيع العام ١٩١٧. وأكد يسرائيلي على أن البريطانيين لم يصوغوا سياستهم بمعزل عن الزعامة الصهيونية فحسب ودون أن يحتاجوا إلى وايزمان، بل أن الصهيونيين هم الذين تبنوا في نهاية المطاف السياسة البريطانية. وهكذا بلور البريطانيون، حسب رأيه، موقفهم تجاه الكتائب العبرية "دون معرفة الزعامة الرسمية للحركة الصهيونية"، كما أن وايزمان لم يبدأ بتأييد فكرة إقامة هذه الكتائب سوى بعدما حثه رئيس الحكومة البريطانية لويد جورج على القيام بذلك.[١٢]

اقترح رونالد ساندرس في كتابه "الأسوار العالية للقدس: تاريخ وعد بلفور وولادة الانتداب البريطاني في أرض إسرائيل"، اتجاها جديدا في نطاق مدرسة التمركز. فقد رفض ساندرس التفسيرات السائدة القائلة أن البريطانيين أصدروا التصريح /الوعد إنطلاقا من الافتراض بأنه "يمكن ليهود روسيا، بتأثير تصريح مؤيد للصهيونية، منع إضفاء الطابع الراديكالي على الثورة هناك "، أو أنه كان من المتوقع أن يساعد التصريح في "تجنيد دعم وتأييد يهود الولايات المتحدة الأميركية لصالح الحلفاء". وفي المقابل، أكد ساندرس على أنه "مما يثير الاستغراب أن "المثالية"، بالذات، هي التي حركت، أكثر من أي شيء آخر، صانعي التصريح الرئيسيين".[١٣]

تحدث ساندرس في مقدمة كتابه عن ماهية هذه المثالية مشيرا الى أن أهداف الحرب المعلنة من جانب دول الحلف " مزجت بين مصالح ذاتية ومُثل حقيقية. تمثّل أحد هذه المُثل – الذي تبنته الحكومة البريطانية على نحو خاص – في التصميم على تشجيع القوميات التي تعرضت للقمع من جانب الحكم العثماني على تجسيد حقها في تقرير المصير. وفي الشرق الأوسط كان ثمّة ثلاث من هذه القوميات هي العرب واليهود والأرمن."[١٤]

وعليه، فبواسطة تحويل "المثالية" إلى العامل الذي سبق كل عامل آخر في حثّ وتحريك صانعي وعد بلفور، سعى ساندرس، إذن، إلى التغلب على الحاجة للحسم بين التفسيرات المختلفة التي قدمتها مدرسة التمركز، غير أنه كشف بهذه الطريقة عن الصعوبة التي واجهتها هذه المدرسة في تقديم "سبب ما واضح" لصدور التصريح/الوعد.

في مقاله " وعد بلفور:حالة هوية مغلوطة " قام مارك لفين بنقل وتغيير مركز ثقل مدرسة التمركز، فهو يقول إن السياسة البريطانية في الشرق الأوسط لم تكن العامل الموجّه في سيرورة إصدار وعد بلفور، وإنما اعتبارات مرتبطة باستمرار مشاركة روسيا في الحرب. وأشار لفين إلى أن البريطانيين كانوا، في فترة إصدار الوعد، في أوج عملية إحتلال أرض إسرائيل، وبالتالي كان من شأن تقديم أي تعهد تجاه الصهيونيين أن يثقل فقط على علاقاتهم (أي البريطانيين) مع المسلمين والمسيحيين في المنطقة.

كذلك فإن حقيقة كون الفرنسيين لم يعارضوا وعد بلفور، تدل هي أيضا، وفقا للفين، على أن إصدار التصريح لم يكن مرتبطا بسياسة بريطانيا في الشرق الأوسط. وعليه، ادعى لفين أن "ثمة حاجة لعامل آخر من أجل تفسير اهتمام (...) الحكومة البريطانية بالصهيونية، والوتيرة الحثيثة (...) التي أفضت إلى إصدار الوعد، عامل قوي جدا من شأنه أيضا أن يضمن تأييد فرنسا لوعد بلفور، والتغلب، في الوقت ذاته، على المواقف المعارضة التي أثارها الأمر داخل مجلس الوزراء البريطاني والمؤسسة الإنجليزية اليهودية. وقد تمثّل هذا العامل، وفقا لما أكده لفين، في الرغبة بمنع انسحاب روسيا ما بعد القيصرية من الحرب، فهو يعتقد أن " جميع اللاعبين الرئيسيين في مبادرة وعد بلفور تأثروا بأفكار لا أساس لها، مفادها أن اليهود، كعامل أو طرف ذي وزن في الحركة الثورية الروسية، يسعون من أجل إقامة سلام منفرد مع ألمانيا من شأنه أن يؤدي إلى انسحاب روسيا من الحرب، وأنه من شأن الصهيونيين أن

في مقاله " وعد بلفور:حالة هوية مغلوطة " قام مارك لفين بنقل وتغيير مركز ثقل مدرسة التمركز، فهو يقول إن السياسة البريطانية في الشرق الأوسط لم تكن العامل الموجّه في سيرورة إصدار وعد بلفور، وإنما اعتبارات مرتبطة باستمرار مشاركة روسيا في الحرب. وأشار لفين إلى أن البريطانيين كانوا، في فترة إصدار الوعد، في أوج عملية إحتلال أرض إسرائيل، وبالتالي كان من شأن تقديم أي تعهد تجاه الصهيونيين أن يثقل فقط على علاقاتهم (أي البريطانيين) مع المسلمين والمسيحيين في المنطقة.

يكبحوا هذا التوجه، وأنهم سيتجندون فعلا من أجل ذلك مقابل الحصول على تصريح يعبر عن التعاطف والتأييد لأهدافهم في أرض إسرائيل. وأكد لفين أن وايزمان "كان الصهيوني الوحيد في بريطانيا الذي قدر بصورة صحيحة ما تتوقعه أو تنتظره وزارة الخارجية (البريطانية) من الحركة الصهيونية، ولذلك فقد رعى ونما هذه الأفكار عديمة الأساس. وصوّر لفين الصهيونيين على أنهم يشكلون قوة مركزية في أوساط الجالية اليهودية في روسيا، وقال إن إصدار التصريح من شأنه أن يقويهم أكثر أمام معارضيهم في صفوف تجار المال والثوريين اليهود على حد سواء. وأكد على أنه لهذا السبب فكر الألمان في إصدار تصريح مؤيد للأهداف الصهيونية. ويضيف لفين أن وايزمان نفسه كان مرتابا تجاه هذه التقديرات، غير أنه عمل على ترويجها، نظرا لأن ذلك شكّل مضمون الرسالة التي انتظر مهندسو تصريح وعد بلفور سماعها. لذلك، "لبّن وايزمان الحقيقة" خلال اتصالاته مع وزارة الخارجية البريطانية.[١٥]

كان انتقاد تفسيرات لفين محور مقالة جيمس رينتون "هستريوغرافيا وعد بلفور:نحو إطار متعدد الأسباب"، فقد انتقد رينتون تفسير لفين الأحادي، مستأنفا بذلك على الفرضية التي تنطلق منها مدرسة التمركز بصورة عامة، واقترح العودة إلى تبني فرضيات مدرسة الربط: العودة إلى البحث المؤسِّس الرائد الذي قام به شتاين و"رفضه تبسيط " مسألة العوامل والأسباب التي وقفت خلف إصدار الوعد، وتبني توجهه " الحذر" و"المحكم" الذي سبب " إحباطا" لدى المؤرخين الذين فتشوا عن "دافع واضح وقاطع لإصدار التصريح". وأشار رينتون إلى القصور المركزي لمدرسة التمركز بقوله: ان مختلف الباحثين – فارتا، فريدمان ولفين– ركزوا على الدوافع المختلفة التي دمجها شتاين في التفسير المركب المقترح من جانبه. وأوجز رينتون قائلا: إن تصريح بلفور كان نتاج تشكيلة مركبة من الظروف، ينبغي أن تؤخذ كافتها في الحسبان في أي تفسير للسياسة التي أفضت إلى صدور التصريح". غير أن رينتون، وعلى الرغم من دعوته للرجوع إلى مدرسة الربط، بقي عمليا يراوح في إطار فرضيات مدرسة التمركز. وقد كان إصدار التصريح، من وجهة نظره، جزءا من مساعي وجهود الحكم البريطاني لاستمالة الرأي العام الأميركي وتجنيده لصالح سياسته، سواء بسبب تعلق بريطانيا المتزايد بسوق المال الأميركية، أو بسبب الدور المركزي الذي كان من المتوقع أن يلعبه الرئيس ويلسون في تشكيل وصوغ صورة التسويات ما بعد الحرب.[١٦]

وعلى غرار ما أورده في كتابه " القناع الصهيوني:ولادة الحلف الأنجلو – صهيوني، ١٩١٤–١٩١٨"[١٧] فقد طرح رينتون اعتبارات الدعاية البريطانية في روسيا والولايات المتحدة كعامل رئيسي في صدور وعد بلفور، وهو تفسير أتاح له الإدعاء من جهة أن "تشكيلة مركبة من الظروف أفضت إلى التصريح، ومن جهة أخرى، أنه (التصريح) كان نتاج أغراض الدعاية "وهو دافع وقف "فوق كل شيء".[١٨] بهذه الطريقة سعى رينتون إلى التوفيق بين مدرسة التمركز ومدرسة الربط: فالإدعاء بشأن "الأغراض الدعائية" إستجاب لتعليمات مدرسة التمركز، في حين عكس النقاش في مظاهرها وأسبابها (أي الدعاية) المختلفة في روسيا والولايات المتحدة منطق مدرسة الربط.

ويشير تبني تعاليم مدرسة الربط، وسط انتقاد استنتاجاتها، كما فعل رينتون، إلى الطريق المسدودة التي وصلت إليها هذه المدرسة. فقد اقترحت تفسيرات أُحادية السبب، لكن هذه التفسيرات يلغي أحدها الآخر، حيث يمكن القول عن الإطار البحثي، الذي نشأ بوحي منها، بأنه اقترح أسبابا كثيرة لإصدار التصريح/ الوعد، ولكن من دون أن يشير إلى " سبب واضح" لذلك. هذا الإخفاق، أوالقصور، يمكن أن يفسر العودة التدريجية إلى فرضيات مدرسة الربط، التي برزت خلال العقدين الأخيرين.

بمثل هذه الطريقة استهل يهودا راينهيرتس المجلد الثاني لسيرة حياة وايزمان، "حاييم وايزمان:صعود رجل سياسي"، حيث قام

وعلى غرار ما أورده في كتابه "القناع الصهيوني: ولادة الحلف الأنجلو - صهيوني، ١٩١٤-١٩١٨" فقد طرح رينتون اعتبارات الدعاية البريطانية في روسيا والولايات المتحدة كعامل رئيسي في صدور وعد بلفور، وهو تفسير أتاح له الإدعاء من جهة أن "تشكيلة مركبة من الظروف أفضت إلى التصريح، ومن جهة أخرى، أنه (التصريح) كان نتاج أغراض الدعاية "وهو دافع وقف "فوق كل شيء".

راينهيرتس، حسبما يقتضيه الطابع البيوغرافي لبحثه، بتوسيع رقعة النقاش حول مساهمة وايزمان في دفع صدور وعد بلفور.[١٩] وفي كتابه "وعد بلفور: مصادر النزاع اليهودي العربي"، تبنى جوناتان شانير نهج شتاين، لكنه توسع في الموضوع الذي أقلَّ باحثون آخرون في التطرق اليه وهو: تأثير السياسة التي اتبعتها بريطانيا تجاه تركيا على الخطوات التي أدت إلى صدور وعد بلفور.[٢٠]

وثمة نهج تفسيري مشابه لنهج شتاين، لكنه أُتبع لغاية معاكسة هي إنتقاد وعد بلفور ومراميه، شكّل صلب مقال ويليام ماثيو "طوارئ فترة الحرب ووعد بلفور ١٩١٧، تراجع غير محتمل".[٢١] ادعى ماثيو في المقال المذكور، في معرض تأكيده على المنطق الموجِّه لمدرسة الربط، أن وعد بلفور كان ولادة غير ضرورية للقاء بين أحداث كثيرة وقعت إبان الحرب العالمية الأولى، ولتطورات في جبهات القتال المختلفة، ولتنحية هربرت هنري أسكويث، المعارض وعد بلفور، عن رئاسة الحكومة، واستبداله بلويد جورج الذي أيد الوعد/التصريح. و تناول ماثيو، بموجب تعاليم مدرسة الربط، الدور المركزي الذي لعبه وايزمان في دفع إصدار التصريح.

من جهته، اقترح ولتر ريد في كتابه"رمال الإمبراطورية: كيف شكلت بريطانيا الشرق الأوسط"، صيغة مُحدَّثه لمدرسة الربط، إذ رفض توجه فارتا ومدرسة التمركز عموما، وأشار، كما فعل شتاين، إلى عدة اعتبارات ربما يمكنها أن تفسر الأسباب والعوامل التي أدت إلى إصدار الوعد /التصريح. وقد ناقش ريد بشكل رئيسي، استمرارا لنهج أُتبع في أبحاث العقدين الأخيرين، الاعتبارات العملية والدعاية والامبريالية، في مقابل العاطفة والمثالية، كتفسيرات ممكنة، غير أنه على الرغم من تفضيله للاعتبارات المثالية، تجنب الحسم بينها.[٢٢]

وقامت ماريان رت في بحث نشر تحت عنوان "التاريخ العالمي لوعد بلفور" بتوسيع أُفق الاعتبارات التي أدت إلى صدور وعد بلفور بما يتجاوز الساحات التي ركزت عليها حتى الآن مدرسة الربط. وقالت رايت إن "الصهيونيين لم يحصلوا على التأييد لهدفهم في حالة من الفراغ، بمعزل عن اعتبارات هندية أو ايرلندية لدى بريطانيا"، أو بمعزل عن إعتبارات كونية أخرى.[٢٣]

وهكذا فإن أبحاث راينهيرتس، شانير،ماثيو، ريد ورت، تعيد إذن نسخ المشكلة التي شخصها سايكس في مدرسة الربط قبل ما يزيد عن خمسين عاما: الإشارة إلى "أسباب كثيرة" لإصدار وعد بلفور دون اقتراح "سبب واضح محدد". وفي الحقيقة فقد أكد راينهيرتس في العام ١٩٩٢ ،بعدما رفض وجهة نظر– الصيغة التي اقترحها فيتال لمدرسة التمركز، على أن "الأسباب والعوامل خلف صدور وعد بلفور معقدة جدا ومتداخلة، أو منضفرة، في بعضها البعض، لدرجة تمكِّن من القول أن التفسير القاطع أحادي البعد (...) هو، دون ريب، تفسير غير دقيق".[٢٤] وبمعنى آخر، فقد تحول القصور الذي شخصه سايكس في تفسير شتاين، إلى نموذج التفسير الذي اقترحه راينهيرتس.

لقد تحول التخلي عن كشف المنطق السياسي لوعد بلفور إلى سمة لوجهات النظر أو الصيغ المتأخرة لمدرسة الربط. وأوضح دافيد برومكين في كتابه "السلام الأخير: هكذا تشكل الشرق الأوسط الحديث، ١٩١٤–١٩٢٢"، أن الاقرار بالجدوى أو الفائدة الكامنة في "التحالف مع الصهيونيين في رسم سياسة بريطانيا تجاه أرض إسرائيل/ فلسطين، تمثّل لدى أعضاء حكومة وسياسيين وموظفين بريطانيين بصورة مستقلة وبطرق مختلفة"، و"لم يكن له مغزى واحد ووحيد". وبروح منهج مدرسة الربط، يضفر برومكين الأسباب المختلفة لتصريح / وعد بلفور في سرد شامل ومترابط،[٢٥] تخفي وحدته المتخيلة تناقضاته السياسية. أما المؤرخ توم سيغف، الذي وصف المساعي والخطوات المختلفة التي سبقت صدور وعد بلفور، فقد قطع شوطا أبعد حين ذكر في كتابه " موسم شقائق النعمان: أرض إسرائيل في عهد الإنتداب" إن وعد بلفور " لم يكن نتاج مصلحة سياسية أو عسكرية، وإنما نتاج آراء مسبقة، وقناعات دفينة وخداع". وبحسب قوله فقد شقت الحكومة طريقها بشكل بدهي واتخذت

وقامت ماريان رت في بحث نشر تحت عنوان "التاريخ العالمي لوعد بلفور" بتوسيع أُفق الاعتبارات التي أدت إلى صدور وعد بلفور بما يتجاوز الساحات التي ركزت عليها حتى الآن مدرسة الربط. وقالت رايت إن "الصهيونيين لم يحصلوا على التأييد لهدفهم في حالة من الفراغ، بمعزل عن اعتبارات هندية أو ايرلندية لدى بريطانيا"، أو بمعزل عن إعتبارات كونية أخرى.

قراراتها استنادا إلى اعتبارات واهية لا أساس لها في الواقع"، أدت إلى إقامة الكتائب العبرية وصدور وعد بلفور.[٢٦]

تبنى آفي شلايم أيضا توجه توم سيغف واستند إليه حين ادعى أن " تأييد لويد جورج للصهيونية لم يستند إلى المصالح البريطانية وإنما استند إلى جهل وانحياز".[٢٧] وعليه، فقد ألغى كل من سيغف وشلايم، نهائيا، الحاجة إلى كشف المنطق السياسي لوعد بلفور بدعوى أن الساسة البريطانيين لم يعملوا مطلقا بتوجيه مثل هذا المنطق، وإنما نتيجة لجهل وانحياز .

زعم شلايم أن "هستريوغرافيا وعد بلفور تقدمت خطوة إلى الأمام" بعد "التفسير التنقيحي" الذي قدمه سيغف.[٢٨] غير أن هذا التفسير لم يكن "خطوة إلى الأمام"، كما اعتقد شلايم، بل إنه يشكل تراجعا عن نتائج البحث التاريخي لوعد بلفور.

هكذا، وبعد خمسة عقود من البحث التاريخي، الذي وسع قاعدة المصادر والأفق التفسيري، عاد النقاش حول الأسباب التي دفعت البريطانيين لإصدار وعد بلفور، والدور الذي لعبه حاييم وايزمان، إلى المربع الأول. وتكمن أسباب هذه الطريق المسدودة إلى حد كبير في القاسم المشترك – ومن ناحية عملية في الإخفاق أو القصور المشترك– الذي يربط بين مدرسة الربط ومدرسة التمركز. لقد فصلت المدرستان بين اعتبارات البريطانيين الذين كانوا منخرطين في النقاشات المتعلقة بإصدار وعد بلفور، وبين دوافع اليهود الذين سعوا للتأثير على قرارات الحكومة البريطانية، ونتيجة لذلك فقد واجهت المدرستان صعوبة في تقديم اطار تفسيري مشترك لـ"البريطانيين" و" اليهود"، و"الحكومة" و" الصهيونيين". هذا الاخفاق يبرز بصورة خاصة لدى محاولة ايضاح دور وايزمان، الذي عمل كجزء من الحكم البريطاني وكجزء من الزعامة الصهيونية على حد سواء.

في المقابل، قلّل المنطق الأحاديّ لمدرسة التمركز من أهمية دور وايزمان ومساهمته، وذلك لأنه (أي منطق المدرسة المذكورة) لا يحتاج إلى شخصية ودور وجهد وايزمان كإطار أو كهمزة وصل بين الجهود والخطوات المختلفة التي أدت إلى صدور وعد بلفور.

تشكل صعوبة تفسير الدور الذي لعبه وايزمان في الخطوات التي أدت إلى صدور وعد بلفور نقطة اللقاء بين الاخفاقات التي وقعت فيها مدرسة الربط وبين تلك التي وقعت فيها مدرسة التمركز.

ومن نقطة اللقاء هذه ينطلق هذا المقال ويستخدم مساعي وجهود وايزمان كمفتاحٍ لتفسيرٍ بديلٍ للعوامل والأسباب التي دفعت حكومة بريطانيا إلى إصدار وعد بلفور. ويقضي جوهر هذا التفسير بأن إصدار الوعد/ التصريح وصيغته كانا نتاج صراع دار، إبان الحرب العالمية الأولى، بين كتلتين متخاصمتين داخل نظام الحكم البريطاني حول مسألة مستقبل الإمبراطورية العثمانية. ويمكن أن نسمي هاتين الكتلتين "الكتلة الراديكالية" و" الكتلة الإصلاحية".

سعت الكتلة الراديكالية إلى حل وتفكيك الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها إلى دول تابعة بين دول" الوفاق الثلاثي"، كسبيل لإلحاق أجزاء من أراضيها – ومن ضمنها أرض إسرائيل/فلسطين – بالإمبراطورية البريطانية؛ بينما عارضت الكتلة الإصلاحية استمرار التوسع الإمبريالي البريطاني في الشرق الأوسط، وطالبت بالمحافظة على الوحدة الإقليمية للامبراطورية العثمانية والعمل على دعمها وتقويتها عن طريق إجراء إصلاحات سلطوية.

وعليه، فإن المغزى السياسي لوعد بلفور – أي إنشاء "وطن قومي للشعب اليهودي في أرض إسرائيل" – يتلخص في تأييد حل الإمبراطورية العثمانية وتوسيع الإمبراطورية البريطانية. وبهذا المعنى، فقد شكل وعد بلفور، من وجهة نظر مؤيديه ومعارضيه على حد سواء، وسيلة لدفع سياسة الكتلة الراديكالية قدما، ولحسم الصراع بين الكتلتين لصالح الكتلة الراديكالية ذاتها .

(عن العبرية) ترجمة وتقديم : سعيد عياش

الهوامش

١ مقدمة مقال نشر في دورية "إسرائيل" العدد ٢٤، خريف ٢٠١٦. وتصدر هذه الدورية عن معهد دراسات الصهيونية وإسرائيل الذي يحمل اسم حاييم وايزمان– جامعة تل أبيب. وتحرر دورية "إسرائيل" رونا يونا.

ليونارد شتاين، أساس لدولة إسرائيل:سيرة وعد بلفور، القدس ١٩٦٢ ص١٠٠–١٠١؛١١٨–١٢٢؛ ١٢٩–١٣٠؛٢٧١. صدر الكتاب، للمرة الأولى، باللغة الانجليزية في العام ١٩٦١.

٢ موطي جولاني "شبكة وايزمان الاجتماعية"، لدى : أوري كوهن ومائير حزان (محرران)، وايزمان زعيم الصهيونية ، القدس ٢٠١٦، ص ٢١٩–٢٢٢ .

٣ فيتال، الثورة الصهيونية، تل ابيب ١٩٩١، الجزء الثالث ص٣٢٠.

4 avi shaim, "the balfour declaration And its consequences", in idem, Israel and Palestine: Reappraisals, Revisions, Refutions. london2009, p. 8.2005 صدر المقال لأول مرة عام

٥ كريستوفر سايكس، من بلفور وحتى بفين: صراعات على أرض إسرائيل، تل ابيب ١٩٦٦، ص١٦.

6 jon Kimche, The Unromantics: The greal powers and the balfour declaration. London 1968, pp.29-30,32-36,39,42-43 .

٧ مائير فارتا، (عن وعد بلفور وصانعيه)، هـأوما (الأُمة) الجزء السادس، ١٩٦٨،ص٣٠١–٣٠٢.

٨ المصدر السابق، ص٣١٣.

٩ فيتال، الثورة، الجزء الثالث، ص٨٣ –٨٥، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٧.

10 efraim karsh and Inari karsh. Empirs of the Sand: The Stuggle for Mastery in the Middle East, 1789-1923. Cambridge, MA and London, 2001,pp. 247-254

١١ يشعياهو فريدمان. مسألة أرض إسرائيل في اعوام ١٩١٤–١٩١٨: شبكة العلاقات بين بريطانيا، الصهيونية والعرب. القدس، ١٩٨٧، ص٩

١٢ دافيد يسرائيلي. "الصراع على تدخل الصهيونيين في الحرب العالمية الأولى ١٩١٧–١٩١٨، الصهيونية، الجزء السابع (١٩٨١)، ص ١٥٣،١٥١،١٤٨، ١٥٧، ١٦٣–١٦٤.

13 Ronald Sanders. The High Walls of Jerusalem: A History of the Balfour Declaration and the Birth of the British Mandate for Palestine. New York, 1983, P. 615

١٤ المصدر السابق، ص XVIII-XVII.

15 Mark Levene, 'The Historiography of the Balfour Declaration:A Case of Mistaken Idenntiy'. The English Historical Review, Vol.107,No.422(1992),pp.69-77

16 James Edward Renton. 'The Historiography of the Balfour Declaration : Toward a Multi-causal Framework' . The journal of Israeli History, vol .19.No.2(1998).pp.109-111,119-125,128

17 James Renton. The Zionist Masquerade: The Birth of the Anglo-Zionist Alliance,1914-1918

18 Danny Gutwein.'The Zioist Masquerade: The Birth of the Anglo-Zionist Alliance,1914-1918 by James Renton (review), The Journal of Israil History,VOL.28,No.2k(2009),pp.231-233

١٩ يهودا راينهيرتس. حاييم وايزمان: صعود رجل سياسي. القدس ١٩٩٦ (١٩٩٣)، الجزء الثاني، ص ٢١٨–٢٢٤.

20 Jonathan Schneer. The Balfour Declaration: The Origins of the Arab – Israeli Conflict. New York, 2010,pp.239-300

21 William M. Mathew. 'War-Time Contingency and the Balfour declaration of 1917: An Improbable Regression,' journal of Palestine Studies, Vol.40.No.

22 Walter Reid. Empire of sand : How Britain Shaped the Middle East. Edinburgh, 2011, Ch.11-13

23 Maryanne A. Rhett. The Global History of the Balfour Declaration: Declared Nations. New York, 2016, pp.3-7

24 Jehuda Reinharz . 'The Balfour Declaration and Its Maker: A Reassessment'. The Journal of Modern History, Vol.64,No.3 (Sep.1992),p.493

٢٥ دافيد برومكين. السلام الأخير: هكذا تشكل الشرق الأوسط الحديث، ١٩١٤–١٩٢٢. تل ابيب، ١٩٩٤ (١٩٨٩)، ص٢٢٢–٢٥٢، الاقتباسات:ص٢٢٨،٢٣٢.

٢٦ توم سيغف. موسم شقائق النعمان: أرض إسرائيل في عهد الانتداب. ص ٣٥، ٤٢–٤٤.

٢٧ شلايم: وعد بلفور، ص١٠–١٣.

٢٨ المصدر السابق، ص١٠.